حرمة الاستمناء وكيفية العلاج

الشيخ/ندا أبو أحمد

حرمة الاستمناء وكيفية العلاج

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله -تعالى-، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

حرمة الاستمناء وكيفية العلاج

الأسباب المؤدية للوقوع في الاستمناء

١- مظاهر الفتن والإغراء التي يتعرض لها الشباب، ومنها.

٢- ضعف الوازع الديني.

٣- الرفقة السيئة.

٤- النظر المحرم.

٥- الفراغ.

٦- الاستماع إلى الأغاني.

٧- الاختلاط.

حكم الاستمناء:

أضرار ومضاعفات الاستمناء:

١- تضعف عضو التناسل وتحدث فيه ارتخاءً كليًا أو جزئيًا.

٢- التهاب منوي في الخصيتين.

٣- عدم الإنجاب.

٤- حدوث عدوى ميكروبية.

٥- احتقان البروستاتا في الرجل.

٦- الإصابة ببعض الأمراض التناسلية كالسل والسيلان.

٧- تحدث ضعفًا في الأعصاب نتيجة الإجهاد.

٨- تحدث رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين والأصابع.

٩- تحدث آلامًا في فقار الظهر وهو الصلب الذي يخرج منه المني، فينشأ عن هذا تقوس الظهر والانحناء.

١٠- تضعف البصر، وتقلل من حدته المعتادة.

١١- تحدث اضطرابًا في الجهاز الهضمي.

١٢- تحدث ضعفًا في الغدد المخية.

الوسائل المعينة على ترك الاستمناء (العادة السيئة)

١- الاستعانة بالله وصدق اللجوء إليه بالدعاء والتذلل إليه سبحانه طلبا للعون على التخلص من هذه العادة السيئة.

٢- التسلح بالصبر وقوة الإرادة والعزيمة.

٣- الابتعاد عن المثيرات الجنسية.

٤- الابتعاد عن سماع الأغاني.

٥- الابتعاد عن مصافحة الأجنبيات.

٦- غض البصر.

٧- مجاهدة النفس ودفع الخواطر والوساوس.

٨- تجنب الوحدة.

٩- الأخذ بالتعاليم الطبية.

١٠- الالتزام بالآداب الشرعية عند النوم.

١١- ملء الفراغ بما ينفع.

١٢- إشغال النفس بالعبادات.

١٣- الصوم.

١٤- ترك مجالسة أهل الفساد.

١٥- اختيار الرفقة الصالحة.

١٦- عدم الاختلاط.

١٧- الزواج.

١٨- التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها، والتطلع إلى نعيم الآخرة.

١٩- الاستشعار بأن الله تعالى مطلع ورقيب عليك.

٢٠- الحياء من الله حق الحياء.

٢١- العلم بأن هذه الجوارح أمانة لديك، ستسأل عنها يوم القيامة.

٢٢- أن يستشعر كل إنسان منا أن هذه الجوارح ستشهد عليه يوم القيامة.

٢٣- استشعار الوقوف بين يدي الله يوم القيامة.

٢٤- وأخيرًا: الدعاء.

حرمة الاستمناء وكيفية العلاج

لا شك أن كل غريزة في الإنسان تحتاج إلى إشباع، فالإنسان إذا جاع أحس بالحاجة الملحة إلى الطعام، وكذلك إذا عطش أحس بالحاجة إلى الشراب، وكذلك إذا سهر أحس بالحاجة إلى النوم، فتدفعه هذه الغرائز إلى البحث عما يشبعها ويسكنها.

وكذلك الغريزة الجنسية لابد من إشباعها؛ لأن من حكمة الله تبارك وتعالى في خلقه أن جعل هذه الغريزة دافعًا لبقاء النوع البشري حتى يستمر النسل وحتى تستمر عمارة الأرض.

والغريزة الجنسية في مرحلة الشباب تحتاج أن توجه التوجيه الصحيح، وتصريف مأمون لهذه الطاقة.

وللأسف الشباب في هذه المرحلة يلاقون عنتًا كبيرًا من أمور كثيرة تهيج هذه الغريزة وتعمل على فورانها، كهذا الوابل الإعلامي من أفلام، ومسلسلات، وإعلانات، وصور ومجلات، وخروج النساء عاريات، مع عدم القدرة على الزواج كل هذا سيجعل الشباب الذين لا يراقبون الله، ولا ينظرون لعواقب الوقوع في هذه الرذيلة – وهي الاستمناء أو العادة السرية–؛ وذلك لإشباع هذه الغريزة ولتسكين هذا الفوران والغليان.

وهذا الموضوع قد لا يجد صدى عند المتزوجين ولكن الشباب يحسون ويشعرون بحرارة ما أقول لأن هذا الأمر عمت به البلوى، حتى قال لي أحدهم: أنه بين كل عشرة شباب تجد ثمانية يفعلون هذا الأمر، فلعل هذه الكلمة تكون صرخة إنذار لكل شاب وفتاة حتى يرجع عما هو فيه، ويقف على خطورة الأمر وأسأل الله تعالى أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن.

تعريف الاستمناء: هو استدعاء خروج المني بغير الجماع سواء أكان باليد أو بغيرها وهو المعروف بنكاح اليد.

الأسباب المؤدية للوقوع في الاستمناء

١ - مظاهر الفتن والإغراء التي يتعرض لها الشباب، ومنها:

أ– السفور والخلاعة وتبرج النساء في عصرنا الحاضر، وذلك في الشوارع، والأسواق، والمتنزهات، وفي كل مكان.

ب– ما يشاهده الشباب في الشوارع من اللوحات ذات الصور العارية، والكلمات المثيرة الفاتنة، أو مشاهدة وعرض الملابس الداخلية للنساء في المحلات.

جـ– ما يشاهده الشباب على شاشات العرض في التليفزيون والسينما والفيديو من أفلام ومسرحيات ومسلسلات وغير ذلك مما يهيج الغريزة الجنسية، ويسقط العفاف والشرف.

د– ما يقرأه الشباب في الكتب والمجلات من القصص الغرامية، والإثارات الجنسية.

٢- ضعف الوازع الديني:

إن ضعف إيمان العبد بخالقه ورازقه ومدبر أمره الذي لا يخفى عليه من خلقه خافية؛ أمر عظيم خطير، حيث أن عدم الخوف من الله تعالى وعدم خشيته ومراقبته تجعل الإنسان يستخف بوعد الله ووعيده، وهذا مما يهون عليه أمر المعصية ويوقعه في الرذيلة.

٣- الرفقة السيئة:

كم من شخصٍ قد أسعده الله وأورثه أعالي الجنان، وغُفرت له ذُنوبه، وسُترت عليه عيوبُه؛ بسبب مجالسته الصالحين. وفي المقابل كم من شخص شقي وكانت شقاوته بسبب جليس السوء.

فالصاحب ساحب فإما أن يأخذ بيدك إلى مرضاة الله، وإما أن يأخذ بيدك إلى النار وغضب الجبار فانظر من تخالل وانظر من تصاحب.

وقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ** ". (صحيح أبي داود: ٤٨٣٣) (صحيح الجامع: ٣٥٤٥)

قال المباركفوري –رحمه الله– في تحفة الأحوذي:٧/٤٩": فمن رضيتَ دينه وخلقه خالِلْه، ومن لا. تجنبه، فإن الطباع سرّاقة والصحبة مؤثرة في إصلاح الحال أو إفساده. اهـ

فصاحب السوء يقود كل من يصاحبه إلى التشبه به في هديه، وعمله، وسمته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله– في اقتضاء الصراط المستقيم ص:٤٨٧:" المشابهة والمشاكلة في الأمور الظاهرة توجب مشابهة ومشاكلة في الأمور الباطنة على وجه المسارقة والتدريج الخفي، فإن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبًا وتشاكلًا بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما في الأخلاق والأعمال وهذا أمر محسوس، وقد رأينا اليهود والنصارى الذين عاشروا المسلمين هم أقل كفرًا من غيرهم، وقد رأينا المسلمين الذين أكثروا من معاشرة اليهود والنصارى هم أقل إيمانًا من غيرهم ممن جرد الإسلام. فالمشاركة في الهدى الظاهر توجب ائتلافا ". اهـ بتصرف

فمما لاشك فيه أن الذي يصاحب أهل المنكر والعصيان فإنهم لا يقودونه إلا إلى الضلال، ولا يدفعون به إلا إلى الغواية، فتكون هذه الصحبة وهذه المعرفة وبالًا عليه في الدنيا والآخرة. **قال تعالى:** ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: ٢٧-٢٩)

٤- النظر المحرم:

فهناك ربط بين غض البصر وحفظ الفرج؛ لأن الوقوع في الفواحش إنما يكون بمقدمات يأخذه الشيطان خطوة خطوة؛ **ولذلك قال ربنا:** ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ (البقرة:١٦٨، ٢٠٨) (الأنعام:١٤٢)

قال ابن القيم –رحمه الله– كما في" كتابه الجواب الكافي" عندما تكلم عن الزنا فقال: " ولما كان مبدأ ذلك من قِبَل البصر جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج، فإن كل الحوادث مبدؤها من النظر، فالبداية تكون نظرة – ثم تكون خطرة – ثم خطوة – ثم خطيئة، فأما اللحظات فهي رائدة الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمَن أطلق نظره أورد نفسه موارد الهلاك، والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، ومن آفاته: أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات فيرى الإنسان ما ليس قادرًا عليه ولا صابرًا عنه وهذا من أعظم العذاب ". اهـ

فلابد أن نعلم جميعاً... أن هذه النظرة ما هي إلا سهم مسموم، فإن أصابك سهم قتلك، فكيف وأن هذا السهم مسموم؟

لا تظن أخي الشاب أن هذه النظرة ستروي ظمأك، فما أنت بذلك إلا كالذي يشرب من ماء البحر، فكلما ازداد منه شربًا ازداد عطشًا، ويظل هكذا حتى يقتله.

انظر إلى هذا الرجل الذي نظر إلى امرأة نصرانية، فأعجبته ووقع حُبُها في قلبه، فراودها عن نفسها، فطلبت منه أن يَتنصَّر فتَنصَّر، ومات على النصرانية، ولو غض الطرف ما كان هذا.

وصدق أبو الأعلى المودودي –رحمه الله– حيث قال: " مَن الذي يكابر في أن كل ما قد حصل في الدنيا إلى هذا اليوم ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور باعثه الأول والأعظم هو فتنة النظر". اهـ

٥- الفراغ:

يقرر علماء النفس والتربية أن الشباب المراهق إذا اختلى بنفسه وقت فراغه ترد عليه الأفكار والتخيلات الجنسية الآثمة فلا يجد نفسه إلا وقد تحركت بالشهوة وهاجت بالغريزة أمام هذه الموجة من التأملات والخواطر.

قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدة[١] مفسدة للمرء أي مفسدة

١- المال.

٦- الاستماع إلى الأغاني:

لقد قرر العلماء أن هناك صلة وثيقة بين الغناء وإثارة الشهوة.

قال يزيد بن الوليد-رحمه الله-:" يا بني أمية إياكم والغناء فإنه ينقص الحياء، ويزيد الشهوة، ويهدم المروءة، وإنه لينوب عن الخمر، ويفعل ما يفعل السُّكر... ". **(أخرجه ابن أبي الدنيا)**

ويقول ابن القيم-رحمه الله-:" كم من حرة صارت بالغناء من البغايا، وكم من حر أصبح به عبدًا للصبيان أو للصبايا، وكم من معافى تعرض له فأمسى وقد حلت به أنواع البلايا، وكم أهوى للمشغوف به من أشجان وأحزان، وكم جرع من غصة وإزال من نعمة، وجلب من نقمة ".

٧- الاختلاط:

والاختلاط هو اجتماع الرجال بالنساء غير المحارم في مكان واحد، يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر، أو الإشارة، أو الكلام، أو البدن من غير حائل أو مانع يدفع الريبة والفساد.

والاختلاط باب من أبواب ممارسة الاستمناء يلج الإنسان من خلاله إلى هذه الفاحشة، والعفة حجاب يمزقه الاختلاط، والذي هو بمثابة غدة سرطانية تسري في كيان المجتمع؛ فتوهنه وتضعفه.

والعجب أن ظاهرة الاختلاط أصبحت ظاهرة اجتماعية مألوفة، والأعجب أن الذي يدعو إلى عدم الاختلاط يعد هذا تخلفًا ورجعية.

وهذه بعض صور الاختلاط المُحَرَّمة والتي انتشرت في المجتمع المسلم:

١- اختلاط الأولاد الذكور والإناث - ولو كانوا إخوة - بعد سن التمييز في المضاجع، فقد أمر النبي ﷺ بالتفريق بينهم في المضاجع.

فقد أخرج أبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص-رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال: **" مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرِّقوا بينهم في المضاجع ".**

٢- اتخاذ الخدم الرجال واختلاطهم بالنساء والعكس.

٣- الاختلاط في دور التعليم، كالمدارس والجامعات والمعاهد والدروس الخصوصية.

٤- الاختلاط في وسائل المواصلات.

٥- الاختلاط في الوظائف والأندية والأسواق والمستشفيات.

٦- الاختلاط بين الجيران، وفي الزيارات العائلية.

٧- الاختلاط في الأعراس (الأفراح) والحفلات.

فلا ينبغي أن يخالط الرجال النساء أو العكس، فهذا ممَّا حرَّمه الشرع الحكيم.

حكم الاستمناء:

الاستمناء حرام شرعًا، وقد نهى عن فعله القرآن، والسنة، والأئمة الأربعة، وجمهور العلماء.

أولا: القرآن الكريم

الدليل الأول على تحريم الإستمناء: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ (المؤمنون٥- ٧)

١- ***قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:*** " وقد استدل الإمام الشافعي-رحمه الله- ومن وافقه على تحريم الاستمناء باليد بهذه الآية الكريمة، وقال: فهذا الصنيع خارج عن هذين القسمين: الأزواج، وملك اليمين. **وقد قال تعالى:** ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٢- ***وقال القرطبي-رحمه الله- في تفسيره عند هذه الآية:*** " قال محمد بن الحكم: سمعت حرملة بن عبد العزيز قال: سألت مالكًا عن الرجل يجلد عميره[١] **فتلا قوله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٣- ***وقال الألوسي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:*** " اختلف في استمناء الرجل بيده ويسمى: الخضخضة، ويسمى كذلك: جلد عُميره، فجمهور الأئمة على تحريمه، وهو عندهم داخل فيما وراء ذلك.

٤- ***وقال الإمام البغوي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:*** ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ أي الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام، وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام وهو قول أكثر العلماء.

٥- ***وقال الإمام ابن عطية الأندلسي -رحمه الله- في تفسير هذه الآية:*** ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ الآية تقتضي تحريم الزنا، والاستمناء، ومواقعة البهائم ".

٦- ***وقال الإمام النسفي-رحمه الله- في تفسير الآيات السابقة:*** " فيه دليل على تحريم المتعة، والاستمتاع بالكف لإرادة الشهوة ".

١- كانوا يكنون عن الذكر بعميره.

الدليل الثاني من القرآن: قوله تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣)

وهذه الآية تدل على تحريم الاستمناء من وجهين:

الوجه الأول: أن الله أمر بالاستعفاف (واللام تسمى لام الأمر) وحيث أن الأمر يدل على الوجوب، فدل ذلك على أن الاستعفاف واجب، وحيث أنه واجب وجب عدم فعل ما يناقضه وينافيه كالزنا والاستمناء، فالاستمناء واجب الاجتناب، محرم الفعل.

الوجه الثاني: أن الله أمر في الآية بالاستعفاف على من لم يستطع تكاليف الزواج، ولم يجعل الله بين الاستعفاف والنكاح حلًا وسطًا، أي لم يقل الله: والذين لا يجدون نكاحًا فليستمنوا لكي يستعفوا، فاقتضى ذلك تحريم الاستمناء ولو كان مباحًا لبينه الله تعالى، لأن هذا مقام بيان فما سكت عنه في هذا المقام الذي يقتضي بيانه دل على أن فاعله آثم، وأنه حرام.

ثانيا: الأدلة من السنة النبوية على تحريم الاستمناء:

الدليل الأول: *ما أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال:* **قُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ! إنِّي رَجُلٌ شَابٌّ، وأَنَا أخَافُ علَى نَفْسِي العَنَتَ[1]، ولَا أجِدُ ما أتَزَوَّجُ به النِّسَاءَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلتُ مِثْلَ ذلكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلتُ مِثْلَ ذلكَ، فَسَكَتَ عَنِّي، ثُمَّ قُلتُ مِثْلَ ذلكَ، فَقالَ النَّبيُّ ﷺ: يا أبَا هُرَيْرَةَ، جَفَّ القَلَمُ بما أنْتَ لَاقٍ، فَاخْتَصِ[2] علَى ذلكَ أوْ ذَرْ ".**

– *وفي رواية عند النسائي بلفظ:*" قلتُ: يا رَسولَ اللهِ! إنِّي رجُل شابٌّ قد خَشِيتُ على نفسي العَنَتَ، ولا أجِدُ طَوْلًا أتزوَّجُ النِّساءَ، أفأختَصي؟ فأعرَضَ عنه النبيُّ ﷺ حتى قال ثلاثًا، فقال النبيُّ ﷺ:" يا أبا هُرَيرةَ! جَفَّ القَلَمُ بما أنت لاقٍ، فاختَصِ على ذلك أو دَعْ ".

وقول النبي ﷺ يا أبا هُرَيْرَةَ! جَفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فاخْتَصِ على ذلك أو ذَرْ"، والمعنى: أنَّ قَدَرَ اللهِ تعالَى نافذٌ ومُتحقِّقٌ، وقدْ نَفَذَ المقدورُ بما كُتِبَ في اللَّوحِ المحفوظِ، فبقِيَ القلمُ الَّذي كُتِبَ به جافًّا لا مِدادَ فيه؛ لِفراغِ ما كُتِبَ به، فلا خُروجَ عَنِ القدَرِ بحالٍ، وإذا كان الأمرُ كذلك فافعلِ الخِصاءَ إنْ شِئتَ أو ذرْهُ، أي: دعْه؛ فإنَّ ذلك لا يُغيِّرُ مِن قدَرِ اللهِ شيئًا، وليس معْنى ذلك أنَّه ﷺ أذِنَ له في الخِصاءِ، بل فيه إشارةٌ إلى النَّهيِ عَن ذلك، وأنَّ الخِصاءَ لا يُغيِّرُ قدَرَ اللهِ تعالَى.

١ـ العنَتَ: أي الزِّنا.
٢ـ الخِصاءُ: هو الشَّقُّ على الأُنْثَيَيْنِ وانتزاعُهما.

وقال الحافظ ابن حجر –رحمه الله– في شرح هذا الحديث: " وقوله ﷺ لأبي هريرة ﷺ: " **فاخْتَصِ على ذلك أو ذَرْ** " فليس الأمر فيه لطلب الفعل أي افعل الاختصاء بل هو للتهديد، **وهو كقوله تعالى:** ﴿**وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾ (الكهف: ٢٩) فعلم بهذا أنه ليس إذنا في الخصاء بل فيه إشارة إلى النهي عن ذلك، كأنه قال: إذا علمت أن كل شيء بقضاء الله فلا فائدة من الاختصاء". اهـ

فهذا الحديث يدل دلالة قاطعة على حرمة الاستمناء؛ لأن أبا هريرة ﷺ اشتكى إلى النبي ﷺ شبابه وخوفه من الزنا، وكرر شكايته ثلاث مرات، ومع هذا لم يرشده النبي ﷺ إلى الاستمناء، كما لم يرخص له في الاختصاء، وهذا أبلغ ما يكون في الدلالة على التحريم.

الدليل الثاني: ***وفي مسند الإمام أحمد والطبراني عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري*** **أنَّ عثمانَ بنَ مظعونٍ ﷺ أرادَ أن يَختَصِيَ ويَسيحَ في الأرضِ[1]، فقال لهُ رسولُ اللهِ ﷺ: " أليسَ لكَ فيَّ أُسوةٌ حسنةٌ؟ فأنا آتِي النساءَ، وآكلُ اللحمَ، وأصومُ وأُفطرُ، إنَّ خِصَاءَ أمتي الصيامُ، وليسَ من أمتي من خَصَى، أو اخْتَصَى ".** (السلسلة الصحيحة)

ففي هذا الحديث أخبَر النَّبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ مظعونٍ ﷺ أنَّ الصِّيامَ يُخَفِّفُ شهوةَ الفَرجِ، وهو لأمَّةِ الإسلامِ بديلٌ عن الخِصاءِ. ثم شَدَّد النَّبيُّ ﷺ في أمرِ الخِصاءِ، فقال: " **وليس مِن أُمَّتي من خَصى أو اختصى** " أي: ليس على هَدْيِ أمَّتي وسُنَّتِها التي سَنَّها لها رسولُ الله ﷺ بعَدَمِ الإفراطِ والتَّفريطِ في أُمورِ الدِّينِ، وهذا تهديدٌ للفاعِلِ (الخاصي) الذي يقومُ بعمليَّةِ الإخصاءِ لنَفسِه أو لغَيرِه، وللمَفعولِ به (المُختَصى). والخِصاءُ: هو نَزعُ خُصيَةٍ مِنَ الذَّكَرِ بقَصدِ كَسرِ ومَنعِ الشَّهوةِ إلى النِّساءِ؛ لأنَّ هذه الأمورَ المنهيَّ عنها هي من التَّبتُّلِ بالانقطاعِ عن النِّكاحِ وما يَتبَعُه مِنَ المَلاذِّ الحلالِ والمباحةِ، ومِثلُ هذا يُعَدُّ مِنَ الغُلُوِّ في الدِّينِ، والرَّهبانيَّةِ المَذمومةِ. كما أنَّ الخِصاءَ فيه من المفاسِدِ الكثيرةِ؛ كتعذيبِ النَّفسِ، والتَّشويهِ، مع إدخالِ الضَّرَرِ الذي ربَّما أفضى إلى الهلاكِ، وإبطالِ معنى الرُّجوليَّة، وتغييرِ خَلْقِ اللهِ، وكُفْرِ النِّعمةِ. (الدرر السنية)

ومن هنا جاء الأمر من سيد الخلق ﷺ بالابتعاد عن هذه العملية المرذولة (الاستمناء)، ولم يأذن لأحد في فعلها، ولكنه أمرنا بالصوم الذي يربي الإرادة، ويعلم الصبر، ويقوي ملكة التقوى، ومراقبة الله تعالى في نفس المسلم كوسيلة لتسكين الشهوة.

---

١ - يَسيحَ في الأرضِ: والسِّياحةُ: هي أنْ يذهَبَ الإنسانُ يَمْشي في الأرضِ دونَ التَّقيُّدِ بمكانٍ معيَّنٍ.

ولذلك قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ: **" يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ ".**

فلقد أمر النبي ﷺ من لا يستطيع أن يتزوج بالصوم ولو كان الاستمناء جائزا لأرشد النبي ﷺ إليه، فلما لم يرشد مع يسره علم أنه غير جائز ومن المعلوم أن السكوت في مقام البيان يفيد الحصر وتأخير البيان عن وقت الحاجة غير مأذون فيه.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله- كما في" فتح الباري" في شرح هذا الحديث: " واستدل بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأن النبي ﷺ أرشدهم عند العجز عن الزواج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة، فلو كان الاستمناء مباحًا لكان الإرشاد إليه أسهل من الصوم ولكن عدم ذكره دل على تحريمه ".

وقال ابن القيم-رحمه الله- كما في" كتابه بدائع الفوائد": " والصحيح عندي أنه لا يباح لضرورة ولا لغيرها لأن النبي ﷺ أرشد صاحب الشهوة إذا عجز عن الزواج إلى الصوم ولو كان هناك معنى غيره لذكره ". اهـ

ثالثا: أقوال أهل العلم في الاستمناء:

١- **ذهب إلى التحريم كلٌّ من المالكية والشافعية والزيدية:** وحجتهم في التحريم أن الله سبحانه أمر بحفظ الفروج في كل الحالات إلا بالنسبة للزوجة وملك اليمين فإذا تجاوز المرء هاتين الحالتين واستمنى كان من العادين المتجاوزين ما أحل الله لهم إلى ما حرمه عليهم. **يقول تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

٢- ***وقال صاحب كتاب" الفقه على المذاهب الأربعة" عبد الرحمن الجزيري":*** " والاستمناء باليد ذنب كبير وأثم عظيم نهى عنه الشارع وحذر منه الرسول ﷺ لما يترتب عليه من الأمراض الصحية والاجتماعية وقد ورد أن صاحبه يأتي يوم القيامة ويده حبلى إذا مات ولم يتب من ذنبه. **وقال الله تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ وهذا يعني تحريم ما سوى الأزواج وما ملكت الأيمان ثم أكد ذلك **بقوله تعالى:** ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فلا يحل العمل بالفرج إلا في الزوجة أو في ملك اليمين، ولا يحل الاستمناء لأنه تعدٍ على الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والذي يفعل ذلك فهذا متعد لحدود الله خارج عن الفطرة السليمة.

وقال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النور:٣٣) أي ليصبروا على الشهوة وكبح جماحها حتى يغنيهم الله من فضله ويسهل لهم طرق النكاح المشروع، فالاستمناء عادة قبيحة محرمة بالكتاب والسنة، وإن كان ذنبها أقل من الزنا حيث أنه لم يترتب عليها ما يترتب على الزنا من الفساد واختلاط الأنساب.

وذكر عبد الرحمن الجزيري-رحمه الله- كلامًا لصاحب كتاب" سبل السلام" قال فيه: " وقد أباح الاستمناء بعض الحنابلة وبعض علماء الحنفية إذا خاف على نفسه الوقوع في الزنا وهو رأي ضعيف لا يعتد به ".

تنبيه: لا يعتد كذلك بكلام ابن حزم-رحمه الله- في هذه المسألة، فقد خالف الإجماع، فهو رأي ضعيف لضعف حجته.

وقد نقل القرطبي-رحمه الله- في تفسيره عن بعض العلماء قوله: " ولو قام الدليل على جوازها؛ لكان ذو المروءة يعرض عنها لدناءتها ".

٣- نقل البغوي-رحمه الله- في تفسيره عن ابن جريج قال: " سألت عطاء عنه (أي الاستمناء) فقال: " سمعت أن قومًا يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء. ونقل كذلك عن سعيد بن جبير -رحمه الله- قال:" عذب الله تعالى أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم ".

٤- وسئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله-عن حكم الاستمناء فقال: " استعمال العادة السرية وهي الاستمناء باليد أو بغيرها محرم بدلالة الكتاب والسنة والنظر الصحيح.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ(٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ ومن طلب نيل شهوته بغير زوجته ومملوكته فقد ابتغى وراء ذلك ويكون عاديا بمقتضى هذه الآية الكريمة.

أما السنة: ففي قوله ﷺ:" **يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ** ". (رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ) فأمر النبي ﷺ من لا يستطيع أن يتزوج بالصوم ولو كان الاستمناء جائزًا لأرشد النبي ﷺ إليه، فلما لم يرشد إليه النبي ﷺ مع يسره، علم أنه ليس بجائز.

أما النظر الصحيح: فهو ما يترتب على هذا الفعل من مضار كثيرة ذكرها أهل الطب بأن فيه مضارًا تعود على البدن وعلى الغريزة الجنسية وعلى الفكر أيضا والتدبير وربما تعوقه عن النكاح الحقيقي لأن الإنسان إذا أشبع رغبته بمثل هذا الأمر لا يلتفت إلى الزواج ". اهـ

٥- وسئل فضيلة الشيخ عطية صقر-رحمه الله- من كبار علماء الأزهر عن العادة السرية فقال:

" تحدث العلماء عن هذه العملية المرذولة في كتب التفسير والفقه وبين حكمها الزبيدي في شرحه للإحياء وتكلم عنها ابن القيم في بدائع الفوائد. وخلاصة أقوال الفقهاء ما يأتي: حرمها الشافعية والمالكية وحرمها الأحناف إذا كانت لاستجلاب الشهوة. وقال ابن قدامة وهو من الحنابلة:" من استمنى بيده فقد ارتكب محرمًا، ثم نقل الشيخ عطية صقر فتوى للشيخ محمد حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية سابقًا وانتهى فيها إلى قوله. ومن هذا يظهر أن جمهور الأئمة يرون تحريم الاستمناء باليد، ويؤيدهم في ذلك ما فيه ضرر بالغ بالأعصاب والقوى والعقول وذلك يوجب التحريم ". اهـ

٦- وسئل فضيلة الشيخ عبد العظيم المطعني-رحمه الله- الأستاذ بجامعة الأزهر الشريف عن الاستمناء فأجاب وقال: " العادة السرية المشار إليها سلوك قبيح مستقذر فضلًا عن حرمتها شرعًا ولا سند لمن يقول بإباحتها إلا الوهم، ففي القرآن الكريم ورد تحريمها إجمالًا في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ(٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ فحفظ الفرج واجب إلا على الزوجات أو الإماء المملوكات ملك يمين، ولا وجود لهن الآن، وكل من ابتغى المتعة وراء هذين النوعين: الزوجات، والإماء المملوكات، فهو عادٍ متجاوز للحد سواء كان زانيًا أو مستمنيًا بيده وهو ما يعرف بالعادة السرية كل ذلك حرام عملًا بهذه الآية الكريمة.

تنبيه: ***ذكر ابن القيم-رحمه الله- في" كتابه بدائع الفوائد":*** أنه من استمنى على فراش، أو أدخل ذكره في شيء فاستمنى فيه، كان حكمه حكم من استمنى بيده ".

أضرار ومضاعفات الاستمناء

نظرًا إلى أن عملية العادة السرية هي عملية جنسية لأنها وإن كانت تبدأ بالرغبة وتستمر بالانتصاب ثم تنتهي بالقذف، إلا أنها لا تنتهي بالنهاية الطبيعية للعملية الجنسية بالإشباع والاسترخاء، ومع تكرار هذا الأمر تقل مقاومة الجسم مما يجعله عرضة للإصابة بالعديد من الأمراض التي تنتج عن ضعف المقاومة وهي أمراض كثيرة وخطيرة غالبًا ومنها:

١- تضعف عضو التناسل وتحدث فيه ارتخاءً كليًا أو جزئيًا:

بحيث يصير صاحب وفاعل الاستمناء أشبه بالعنين لفقده أهم مميزات الرجولة، فلا يستطيع أن يتزوج، وإن تزوج فلا يستطيع القيام بوظيفته الزوجية على الوجه المطلوب، فتتطلع امرأته- إن لم تكن عفيفة -، إلى غيره لأنه لا يستطيع إعفافها والجزاء من جنس العمل.

٢- التهاب منوي في الخصيتين:

فيصير صاحبها سريع الإنزال إلى حد بعيد بحيث ينزل بمجرد احتكاك شيء بذكره، فلا يحدث الاستمتاع عند الزواج.

٣- عدم الإنجاب:

وذلك لأن الإكثار من ممارسة العادة السرية في المراهق أو الرجل يقلل من عدد الحيوانات المنوية اللازمة للإنجاب فهي تنقص في كل مرة عن سابقتها، حيث أن إنتاج هذه الحيوانات يحتاج لمدة طويلة فالحيوان الواحد يحتاج إلى ٧٢ يوم حتى يتم صنعه ونضجه، وطبعًا هناك تخزين للحيوانات الجاهزة فيما يسمى بذيل الخصية ولكن كثرة الممارسة الجنسية والعادة السرية يزيل هذا الاحتياطي بسرعة، وبالتالي يضعف القدرة على الإنجاب ولكن الإقلاع يعيد الأمر إلى نصابه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا الماء الثخين يحدث له تحلل فيصبح ماء رقيقًا خاليًا من الحيوانات المنوية فإذا تزوج لا يكون له ذرية.

٤- حدوث عدوى ميكروبية:

فقد تؤدي العادة السرية إلى حدوث عدوى ميكروبية في مكان الممارسة- وخاصة عند المرأة - وقد تنتقل إلى القناة البولية ومن ثم إلى المثانة والكلى، كما أن الغدد المخاطية الموجودة في الشفرين قد تصاب بانسداد يؤدي إلى تورم والتهاب شديدين.

٥- احتقان البروستاتا في الرجل:

مما يؤدي إلى سرعة القذف ونزول المني بشعور وبغير شعور.

٦- الإصابة ببعض الأمراض التناسلية كالسل والسيلان.

٧- تحدث ضعفًا في الأعصاب نتيجة الإجهاد.

٨- تحدث رعشة في بعض الأعضاء كالرجلين والأصابع.

٩- تحدث آلامًا في فقار الظهر وهو الصلب الذي يخرج منه المني، فينشأ عن هذا تقوس الظهر والانحناء.

١٠- تضعف البصر، وتقلل من حدته المعتادة.

١١- تحدث اضطرابًا في الجهاز الهضمي.

١٢- تحدث ضعفًا في الغدد المخية.

فتضعف القوة المدركة، فيقل فهم فاعلها بعد إذ كان ذكيًا، وربما يبلغ ضعف الغدد المخية إلى حد يحدث معه خلل.

هذا بجانب الأضرار النفسية ومنها الصراع النفسي الناتج عن الإحساس بالإثم ووخز الضمير، وكذلك القلق العصبي، وعدم الثقة بالنفس، والرغبة في العزلة، والشعور بالخجل والانطواء.

الوسائل المعينة على ترك الاستمناء (العادة السيئة)

١- الاستعانة بالله وصدق اللجوء إليه بالدعاء والتذلل إليه سبحانه طلبا للعون على التخلص من هذه العادة السيئة:

وهو من أعظم علاج، **قال تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: ١٨٦)

فأنت أيها الإنسان ضعيف ولكن إذا دعوت الله واستعنت به نصرك وأعانك. وعليك أن تغتنم الثلث الأخير من الليل.

– ***قال النبي ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم:*** " **يَنْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنْيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، يقولُ: مَن يَدْعُونِي، فأسْتَجِيبَ له؟ مَن يَسْألُنِي فأُعْطِيَهُ؟ مَن يَستَغْفِرُنِي فأغْفِرَ له؟** ".

– **فعليك أن تناجي ربك وتقول:**" إلهي وسيدي، عبيدك سواي كثير، وليس لي رب سواك! أنا عبدك المذنب الضعيف، وأنت الرب الكريم الجليل، خذ بيدي وناصيتي إليك أخذ الكرام عليك. يا رب عافني من هذه الفاحشة، يا رب حبِّب إليَّ الإيمان، وكرِّه إليَّ الكفر والفسوق والعصيان.

داوم على ذلك حتى يفتح الله لك بابه؛ لأنه مَن داوم على الطرق فإنه سيفتح له؛ لأنه الكريم لا يرد أحدًا ولا يغلق بابه أبدًا.

يا ذا الذي ألف الذنوب وأجرما	وغـــدا على زلاتـــه متندِّمـــا
لا تيأسنَّ واطلب كـريمًا دائمًا	يـولي الكـــريم تفضُّلًا وتكرُّمـًا
يا معشر العاصين جودٌ واسعٌ	عنـــد الله لمَن يتـــوب ويندمـا
يا أيها العبد المسيء إلى متى	تفني زمانـك في عسى ولربمـا
بادر إلى مولاك.. يا مَن عمره	قد ضاع في عصيانه وتصَرَّمـا
واسأله تـوفيقًا وعفـوًا، ثم قـل	يا رب بَصِّرني وأزل عنِّي العمى

وصدق ربنا حيث قال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢،٣)

ولو اطلع الله على صدق نيتك سيعينك على التخلص من تلك الفاحشة. **قال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد:١١)

٢- التسلح بالصبر وقوة الإرادة والعزيمة:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:٦٩)

فلا تجعل أخي الشاب ملاك أمرك بيد عدوك مهما أغراك، وتستحضر دائما قصة يوسف عليه السلام وثباته أما إغراء امرأة العزيز وتفضيله دخول السجن على الوقوع في الفاحشة، وكذلك قصة الثلاثة نفر الذين انطبقت عليهم الصخرة، وكان من جملتهم هذا الشاب الذي توسل إلى الله بصالح عمله والذي أخبر عنه فقالَ: **اللَّهُمَّ كَانَتْ لي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فأَرَدْتُهَا عن نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حتَّى أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ ومائَةَ دِينَارٍ علَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وبيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حتَّى إذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قالَتْ: لا أُحِلُّ لكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إلَّا بحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وهي أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلك ابْتِغَاءَ وجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا ما نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غيرَ أنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ منها...**، وتستحضر كذلك هذا الرجل الذي دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: **إني أخاف الله...**"، وهو من جملة السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله. فهذا رجل تيسّرت له المعصية، ودعته المرأة بنفسها، وراودته وحببت إليه الفاحشة، وهي ذات منصب يحميه، وجمال يغريه، ومع هذا ما تجرأ على فعل الفاحشة لأنه يخاف الله. فلابد أن تتحلى بخلق الصبر والعفة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" وأما الصبر عن المحرمات فواجب وإن كانت النفس تشتهيها وتهواها **قال تعالى:** ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (النور:٣٣) والاستعفاف هو ترك المنهي عنه كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال:" **ومَن يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، ومَن يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، ومَن يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وما أُعْطِيَ أحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ** ".

٣- الابتعاد عن المثيرات الجنسية:

يقول الدكتور عبد الله ناصح علوان -رحمه الله- في" كتابه عقبات الزواج":" من القضايا المسلم بها أن الاختلاط في أجواء النساء الكاسيات العاريات المتبرجات، وأن قراءة القصص الغرامية والمجلات الخلاعية التي يقوم على ترويجها تجار الغرائز والأعراض، وأن مشاهدة الأفلام الخليعة والتمثيليات الماجنة في التلفاز والسينما والمسارح، وأن الاستماع إلى الأغاني الخليعة الماجنة التي تبثها أمواج الأثير في كل مكان، كل ذلك مما يخدر الغيرة، ويلوث الشرف، ويضيع الخلق، ويضعف الذاكرة، ويثير الغريزة، ويقتل الشخصية، فعلى الذين لا يجدون نكاحًا أن يبتعدوا عن المثيرات إن أرادوا أن يحافظوا على توازنهم الإرادي وانضباطهم النفسي والخلقي وصحتهم العقلية والجسدية.

٤- الابتعاد عن سماع الأغاني:

إن الغناء والمعازف من الأمور التي تثير الشهوات وتجعل الفرد يقع في هذه المعصية، وذلك لأن الصوت الجميل له وقع في القلوب، وإذا اصطحب بالمعازف كان تأثيره أوقع.

قال ابن الجوزي-رحمه الله-: " اعلم أن الغناء يجمع شيئين: **أحدهما:** أنه يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله سبحانه والقيام بخدمته، **والثاني:** أن يميله إلى اللذات العاجلة التي تدعو إلى استيفائها من جميع الشهوات الحسية.

والاستماع إلى الأغاني والموسيقى من الأمور التي عمَّت بها البلوى، وانتشرت في مجتمعنا انتشار النار في الهشيم، فلنعلم جميعًا أن الغناء حرام بنص القرآن، وصحيح السنة، وإجماع مَن يُعتدُّ به من السلف.

أدلة تحريم الغناء من القرآن الكريم:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (لقمان: ٦،٧)

- ***وقد أخرج الحاكم وصححه البيهقي عن ابن مسعود ﷺ قال:*** " والله الذي لا إله غيره هو الغناء، وظل يرددها ثلاثًا ".

قال ابن كثير-رحمه الله-: " كذا قال ابن عباس، وعلي بن أبي طالب، وجابر، وعكرمة، وسعيد بن جبير، ومجاهد، ومكحول. ***ثم قال ابن كثير في هذه الآية:*** لما ذكر الله تعالى السعداء، وهم الذين يهتدون بكتاب الله، وينتفعون بسماعه، عطف بذكر حال الأشقياء الذين أعرضوا عن الانتفاع بسماع كلام الله، وأقبلوا على سماع المزامير والغناء والألحان وآلات الطرب ".

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (الإسراء: ٦٤)

ومعنى الآية: أن الله تعالى يقول للشيطان: استفزز الساهين واللاهين بصوتك، الذي هو الطرب والغناء وما صاحبه من موسيقى... وغيرها من المعازف وأزهم أزًا وحرِّكهم إلى المعصية، ومرنهم على الفاحشة والفجور.

فكل مَن سمع الغناء فليعلم: أن الشيطان قد استحوذ عليه فصار من حزبه، وقد دعاه الشيطان فقال له: لبيك.

وقال القرطبي-رحمه الله- في تفسير هذه الآية: " إن هذه الآية دليل على تحريم الغناء والمزامير واللهو، فما كان من صوت الشيطان أو فعله فيجب التنزه عنه.

ثم أيد ما استنبطه بالحديث الذي رواه الإمام أحمد عن نافع مولى ابن عمر قال: **" كنت أسير مع ابن عمر، فلما سمع زمارة راع؛ فوضع أصبعيه في أذنيه، وعدل راحلته إلى الطريق وهو يقول: يا نافع أتسمع؟ فأقول: نعم. فيمضي... حتى قلت: لا. فرفع يده وعدل راحلته إلى الطريق، وقال: رأيت الرسول ﷺ سمع زمارة راع؛ فوضع أصبعيه في أذنيه كما فعلت". – *وفي رواية:*" فصنع مثل هذا ".**

قال القرطبي –رحمه الله–: " وهذا في غناء هذا الزمان عندما كان يخرج عن حد الاعتدال، فكيف بغناء زماننا؟!

يا الله... القرطبي يقول ذلك وهو في القرن السادس من الهجرة، فكيف لو رأيت زماننا يا قرطبي؟!!

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ (الفرقان:٧٢)

قال محمد ابن الحنفية –رحمه الله–: "الزُّور هنا هو الغناء... والمعنى هنا: أنهم لا يحضرون مجالس الباطل، وإذا مرُّوا بكل ما يلهي: من قول وعمل؛ أكرموا أنفسهم أن يقفوا عليه أو يميلوا له ".

وقال الكلبي –رحمه الله–: " لا يشهدون الزور، يعني: لا يحضرون مجالس الباطل ".

وأما الأدلة من السُّنَّة فكثيرة ونكتفي بحديث واحد منها لعدم الإطالة:

– ***حديث أخرجه البخاري عن أبي مالك الأشعري ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:*** **" ليكونن من أُمتي أقوامٌ يَسْتَحِلُّون الحرَّ والحرير والخمر والمعازف".**

– **ومعنى الحديث:** أنه سوف يأتي قوم يستحلون المُحَرَّمات، منها: فروج النساء، ولبس الحرير أي: للرجال، وشرب الخمر، ويستمعون المعازف والغناء، ويقولون: هذا مباح؛ فيعزفون ويطبلون ويرقصون ويغنون، وإذا جابهتهم وأنكرت عليهم، قالوا: هذا مباح وقد صحت نبوءته ﷺ بذلك.

– **ويستفاد من الحديث تحريم الغناء وذلك من وجوه: الأول:** قوله: **"يَسْتَحِلُّون"** إذ الأصل هو الحرمة، ولكنهم يستحلُّون ما حرَّم الله. **الثاني:** اقترانه بالزنا، والخمر، ولبس الحرير، وكل هذه الأمور مُحَرَّمة.

قال ابن القيم–رحمه الله–: " ولا ينبغي لمَن شم رائحة العلم، أن يتوقف في تحريم الغناء وآلات الملاهي، فأقل ما يقال: إنها شعار الفُسَّاق وشاربي الخمور".

– ***وكان ابن عباس وعبد الله بن مسعود–رضي الله عنهما– يقولان:*** **" إن الغناء يُنبت النفاق في القلب كما يُنبت الماء البقل ".**

– ***وكان مالك –رحمه الله– يقول عن الغناء:*** " إنما يفعله عندنا الفُساق ".

ولذا كان القانون المصري سنة ١٩٣٨ ميلادية يرد شهادة المغني والممثل.

– ***وكان الضحاك –رحمه الله– يقول:*** " الغناء مفسدة للقلب، ومسخطة للرب ".

– ***وكان الفضيل بن عياض –رحمه الله– يقول:*** " الغناء رقية الزنا ".

٥- الابتعاد عن مصافحة الأجنبيات:

حرمت الشريعة على الرجل مس المرأة الأجنبية ومصافحتها حتى لا تثار شهوته أو شهوتها، فيكون الهلاك في الدين والدنيا بممارسة العادة السرية أو الزنا والعياذ بالله، ومن ثم قال رسول الله ﷺ كما عند الطبراني من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه: " **لَأَنْ يُطعَنَ في رأسِ رجلٍ بِمِخْيَطٍ من حديدٍ**[1] **خيرٌ من أن يمَسَّ امرأةً لا تَحِلُّ له** ". (السلسلة الصحيحة: ٢٢٦)

وكان رسول الله ﷺ يحرص على أن لا تمس يده يد امرأة. تقول أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- كما في صحيح مسلم: " **وَلَا وَاللَّهِ ما مَسَّتْ يَدُ رَسولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غيرَ أنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بالكَلَامِ. قالَتْ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ، ما أَخَذَ رَسولُ اللهِ ﷺ علَى النِّسَاءِ قَطُّ إلَّا بما أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَما مَسَّتْ كَفُّ رَسولِ اللهِ ﷺ كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ، وَكانَ يقولُ لهنَّ إذَا أَخَذَ عليهنَّ: قدْ بَايَعْتُكُنَّ كَلَامًا** ".

٦- غض البصر:

لاشك أن ما يدفع إلى الوقوع في مصيدة هذه العادة (الاستمناء) تعدد الصور المخزونة في الذاكرة والمحفورة في الذهن من جراء الإكثار من النظر إلى ما حرم الله من الصور الفاتنة سواء كانت حية في عالم الواقع أو مطبوعة في مجلة أو متحركة في فيلم، وتكرار النظر يؤدي إلى ترسيخ الصورة في الذهن وتعلق القلب بها، وترسخها يؤدي إلى سهولة استدعائها، وسهولة استدعائها يؤدي إلى تخيلها بوضع معين تثور معه الشهوة، ويصاب مريض القلب بالقلق الشديد، فيندفع إلى التنفيس بممارسة هذه العادة، ولذلك أمرنا الله عز وجل بغض البصر وذلك مرعاة لحفظ الفرج، **قال تعالى:** ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ(٣٠) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ. . .**﴾ (النور: ٣٠، ٣١)

وغض البصر معناه: الخفض وإطباق الجفن على العين بحيث يمنع الرؤية، وقد يكون بمجرد صرف البصر عن المنهي عنه.

قال ابن القيم -رحمه الله-: " فلما كان غض البصر أصلًا لحفظ الفروج بدأ بذكره، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته وإذا أطلق القلب شهوته لأن العين مرآة القلب ". اهـ

وقال الفخر الرازي -رحمه الله-: " النظر بريد الزنا ورائد الفجور، والبلوى فيه أشد وأكثر، ولا يكاد يحترس منه، ***ويرحم الله من قال:***

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر

١- وخَصَّ المِخْيَطَ بالذِّكْرِ؛ لأنَّه أَصْلَبُ وأَصْعَبُ مِن غَيرِه، وأَشَدُّ وأَقْوى في الإيلامِ.

وقال الشيخ ابن باز –رحمه الله–: " فأمر الله ﷻ في هاتين الآيتين الكريمتين المؤمنين والمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج وما ذاك إلا لعظم فاحشة الزنا وما يترتب عليها من الفساد الكبير بين المسلمين ولأن إطلاق البصر من وسائل مرض القلب ووقوع الفاحشة وغض البصر من أسباب السلامة من ذلك ". اهـ

وغض البصر سبيل لتخليص القلب من ألم الحسرة؛ فإن مَن أطلق نظراته دامت حسراته، فأضر شيء على القلب إرسال البصر، **كما قيل:**

وكنتَ متى أرسلت طرفُكَ رائدًا لقلبك يومـًا أتعبتك المناظــرُ

رأيت الـذي لا كـلَّه أنت قــادرٌ عليه ولا عن بعضِه أنت صابرُ

وغض البصر يسدُّ على الشيطان مدخله إلي القلب: لأن العين بوابة إلي القلب، والشيطان يدخل مع النظرة وينفذ معها إلي القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي، فيمثل له صورة المنظور إليه ويزينها ويجعله صنمًا يعكف عليها القلب، ثم يعده ويمنيه، ثم يوقد على القلب نار الشهوة، ويلقي عليه حطب المعاصي التي لم يكن يتوصل إليها بدون تلك الصورة، فيبعث ذلك على الفحش والفجور.

وقد مر بنا قول أبي الأعلى المودودي –رحمه الله–: " ومَن الذي يكابر في أن كل ما قد حصل في الدنيا إلي هذا اليوم ولا يزال يحدث فيها من الفحشاء والفجور باعثه الأول والأعظم هو فتنة النظر.

- فالنظرة تفعل في القلب ما يفعل السهم في الرمية، فإن لم تقتله جرحته، وهى بمنزلة الشرارة من النار تُرمى في الحشيش اليابس؛ فإن لم تحرقه كله أحرقت بعضه، **كما قيل:**

كل الحــوادث مبدأها من النظــر ومُعظم النار مــن مستصْغَرِ الشــرر

كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتكَ السهــامِ بــلا قــوسٍ ولا وتـــر

والمــرءُ مــا دام ذا عين يقلبهــا في أعينِ الغيد موقوف على الخطر

يسر مقلَتــه مــا ضر مهجتــه لا مرحبــًا بسرور عــاد بالضــرر

وكان ابن الحاج –رحمه الله– يقول: " ووقع الإجماع على أن النظر أعظم الجوارح آفة على القلب وأسرع الأمور في خراب الدين والدنيا ". اهـ

٧- مجاهدة النفس ودفع الخواطر والوساوس:

هذا أساس العلاج وبيت القصيد للدواء وهو اجتثاث الأمر من جذوره والوقاية خير من العلاج، ذلك أن الذي يمارس هذه العادة إنما ينجر إليها تسوقه خواطره وأفكاره والخيالات التي يتصورها في ذهنه فهي التي تحرك من شهوته ما يدعوه إلى ممارسة تلك العادة، لذلك كان من أهم وسائل العلاج الاهتمام بالخطرات والأفكار ومجاهدة النفس في دفع السيِّئ منها. **قال تعالى:** ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت:٦٩)

وأخرج الإمام أحمد والبزار والطبراني من حديث فضالة بن عبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **المسلمُ من سلِمَ المسلمونَ من لسانِه ويدِهِ، والمؤمنُ من أمنَهُ النَّاسُ على دمائِهم وأموالِهم، والمجاهدُ من جاهدَ نفسَهُ في طاعةِ اللَّهِ، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذُّنوبَ** ".

٨- تجنب الوحدة:

لا شك أن من أسباب ممارسة هذه العادة هو الوحدة فهي تهيِّئ الجو للمعصية، ومن هنا فقد نهى النبي ﷺ أن يبت الرجل وحده ".

فقد أخرج البخاري وأحمد واللفظ له من حديث عبد الله بن عمر–رضي الله عنهما– قال: **أن النبيَّ ﷺ نهى عن الوِحدةِ، أنْ يبيتَ الرجلُ وحده، أو يسافرَ وحده** ". (صحيح الجامع:٦٩١٩)

وهذا النهي مفيد في علاج مثل هذه الحالة لأن الانفراد يسهل مهمة الشيطان في الوسوسة ودفع الشخص لممارسة هذه العادة.

٩- الأخذ بالتعاليم الطبية:

إن مما ينصح به علماء الصحة والطب في التخفيف من سلطان الغريزة وجموح الشهوة وهو ما يلي:

أ– الإكثار من الحمامات الباردة في موسم الصيف، وصب الماء البارد على العضو التناسلي في الفصول الأخرى.

ب– الإكثار من الألعاب الرياضية والتمارين الجسمية.

جـ– تجنب الأطعمة المحتوية على بهارات وتوابل.

د– الإقلال ما أمكن من المنبهات العصبية كالقهوة والشاي.

هـ– عدم الإكثار من اللحوم الحمراء والبيض.

و– عدم النوم على الظهر أو البطن بل السنة أن ينام على شقه الأيمن مستقبل بوجهه القبلة.

١٠- الالتزام بالآداب الشرعية عند النوم:

حيث أن الشيطان يأتي أشد ما يأتي بوسوسته بمثل هذه الأمور عند النوم، لذا كان من وسائل المحاربة تطبيق الهدي النبوي والآداب الشرعية في تلك الحال ومنها:

أ- الْوُضُوءُ قَبْلَ النَّوْمِ، والنوم على الجانب الأيمن؛ ***وذلك للحديث الذي أخرجه البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ مِن حَدِيثِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:*** " إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ [١] فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ...".

ب- عدم النوم على البطن: ***فقد أخرج الترمذي مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ ﷺ قَالَ:*** " رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا مُضْطَجِعًا عَلَى بَطْنِهِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ ضَجْعَةٌ لَا يُحِبُّهَا اللهُ ".

(صحيح سنن الترمذي: ٢٢٢١) (صحيح الجامع: ٢٢٧٠)

جـ- ألاَّ ينامَ وحده: ***فقد أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما-*** أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَى عَنِ الْوَحْدَةِ: أَنْ يَبِيتَ الرَّجُلُ وَحْدَهُ، أَوْ يُسَافِرَ وَحْدَهُ ".

فالنبي ﷺ نهى أن يبيت الإنسان وحده فقد تتلاعب به الشياطين وهو نائم وحده، أو تشوش عليه أفكاره، أو توسوس له، أو تحاول أن يُؤذيه أو تُخيفه، وربما تعرَّض لِمَتاعبَ صحيةٍ أو أزماتٍ ويحتاج إلى مساعدة الآخرين، فالواجب على المرء لزومُ السُّنة في كلِّ حال.

د- قراءة بعض السور والأذكار قبل النوم؛ ومنها:

- قراءة آخر آيتين من أواخر سورة البقرة.
- قراءة آية الكرسي عند النوم.
- قراءة: ﴿ آلم(١) تَنْزِيلُ﴾ (السجدة)، و ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ (الملك)
- جمع الكفَّينِ وقِرَاءَةُ سُورَةِ الْإِخْلَاصِ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ مع النَّفْث والمسح على الجسد ثلاثًا.
- التَّسبيح ٣٣، والحمد ٣٣، والتَّكبير ٣٤، عند النوم.
- يستغفر الله (بسيد الاستغفار) قبل النوم.
- يقول عند القلق من النوم: لا إلهَ إلَّا اللهُ الواحدُ القهارُ، ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما العزيزُ الغَفَّارُ.
- عند الفزع من النَّوم يقول: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ[٢].

١- إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ: أي: إذا أردت أن تأتى.

٢- وأدلة ما سبق وغير ذلك من آداب النوم في رسالة للمؤلف ضمن سلسلة بعنوان:" الموسوعة الندية في الآداب الإسلامية".

١١- ملء الفراغ بما ينفع:

والفراغ نعمة من الله تعالى إذا استغلها الإنسان في طاعة الرحمن، فليس في الوجود أغلى من الوقت، وبه يشتري الإنسان جنَّة نعيمها مقيم، وليس في الحياة نعمة بعد الإيمان أعظم من نعمة الصحة والفراغ ***فقد أخرج البخاري من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ** ".

- ***يقول ابن الجوزي-رحمه الله- كما في" فتح الباري:١١/٢٣٤":*** " قد يكون الإنسان صحيحًا ولا يكون مُتفرِّغًا لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنيًا ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعت (أي الصحة والفراغ) فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمَن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومَن استعملها في معصية الله فهو المغبون؛ لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم ". اهـ

- ***ويقول ابن رجب -رحمه الله-:*** " أيام العافية غنيمة باردة، وأوقات السلامة لا تشبهها فائدة، فتناول ما دامت لديك المائدة، فليست الساعات الذاهبات بعائدة ". اهـ

- **وكان السلف الصالح أحرص ما يكونون على الوقت:**

- ***فها هو أبو مسلم الخولاني-رحمه الله- يقول:*** " لو رأيت الجنة عيانًا ما كان عندي مستزاد، ولو رأيت النار عيانًا ما كان عندي مستزاد". (صفة الصفوة)

- ***وقال رجل لعامر بن قيس-رحمه الله-:*** " قف أكلمك، قال: فأمسك الشمس ".

- ***وكان داود الطائي يستف الفتيت ويقول:*** " بين سف الفتيت وأكل الخبز قراءة خمسين آية ".

- ***وقال أبو بكر بن عياش-رحمه الله-:*** " ختمت القرآن في هذه الزاوية ثمانية عشر ألف ختمة ".

- ***وكان عمير بن هانئ-رحمه الله- يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة. والنبي ﷺ يقول:*** " **مَن قال سبحان الله العظيم وبحمده؛ غُرست له نخلة في الجنة** ". (رواه الترمذي من حديث جابر)

فكم ضيَّعنا من نخيل، كم ضيَّعنا من نخيل؟؟

- ***وها هو أبو البركات-رحمه الله- جد شيخ الإسلام ابن تيمية:*** " إذا أراد أن يدخل الحمام للاغتسال؛ يأتي بابنه ويقول: "يا بني اجلس عند باب الحمام واقرأ وارفع صوتك ". (حتى يحفظ وهو داخل الحمام)

- **وصدق القائل حيث قال:**

إذا مر بي يـوم ولم اقأتبس هــدى ولم استفد علمًا فما ذاك من عمري

– أما شباب اليوم فقد ماتت فيه الهمم، وخارت العزائم، وأصبح هناك دعة وراحة وتكاسل، تمر الساعات والأيام ولا يحسب لها حسابًا. ينادى أحدهم على صاحبه قائلًا: " تعال لنضيع الوقت ".

فتضييع الأوقات بمشاهدة المباريات، أو الجلوس في الطرقات، أو المحادثة على الشات، وتضييع الساعات على النت أو الفضائيات، وهذا كله دليل على مقت الله للعبد، **كما قيل:" من علامة المقت إضاعة الوقت"**. فالمؤمن ليس عنده وقت فراغ، **قال تعالى لنبيه** ﷺ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ(٧)وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ (الشرح:٧،٨)

فَإِذَا فَرَغْتَ من شغلك ومن الناس ومن شواغل الحياة، فتوجه إلى الله تعالى بالطاعة والعبادة.

– ***يقول الشافعي–رحمه الله–:*** " صحبت الصوفية فما انتفعت منهم إلا بكلمتين، سمعتهم يقولون: "الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك"، "ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل".

– ***وقال ابن القيم–رحمه الله– كما في "مدارج السالكين" مُعلقًا على كلام الشافعي:*** " يا لها من كلمتين ما أنفعهما وأجمعهما، وأدلهما على علو همة قائلها ويقظته ". اهـ

فمن جهل الشباب بقيمة الوقت يفرحون بمغيب شمس كل يومٍ، وهم لا يدركون أن هذا نهاية يوم من أعمارهم لن يعود أبدًا إليهم، صحائف طويت، وأعمال أحصيت، وأنفاس انقضت.

– **وصدق القائل حيث قال:**

إنا لنفرح بالأيام نقطعها ... وكل يوم يُدنِي من الأجل

فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدًا ... فإن الربح والخسران في العمل

– ***وكانت صفية بنت سيرين–رحمها الله– تقول مخاطبة الشباب:*** " يا معشر الشباب، خذوا من أنفسكم وأنتم شباب، فوالله ما رأيت العمل إلا في الشباب ".

فمرحلة الشباب فرصة عظيمة لا تُعوَّض، يجب اغتنامها في ما ينفع الإنسان في دينه ودنياه، وهذا ما كان يوصي به النبي ﷺ.

فقد أخرج الحاكم في "المستدرك" من حديث ابن عباس–رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **" اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك".** (صحيح الجامع:١٠٧٧)

فعلى الشاب أن يقضي وقت الفراغ إما برياضة بدنية تقوي جسمه، أو نزهة برية يروح بها عن نفسه، أو مطالعة مفيدة يطلب فيها العلم الشرعي، أو حضور مجالس العلم، أو عمل يدوي ينمي به ميوله، أو مباراة ثقافية يروض بها عقله، أو تمارين على الرمي والسباحة وركوب الخيل ووسائل الجهاد، إلى غير ذلك من هذه المجالات النافعة التي هي من صلب الدين وصميم الإسلام.

١٢- إشغال النفس بالعبادات:

إن نشأة الشاب في طاعة الله عز وجل مانعة له من الوقوع في مثل تلك السفاسف، كيف لا؟ وهو من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله" **شاب نشأ في عبادة الله**"، وإذا كان الشاب متنقلا في منازل الطاعات بين صلاة، وصيام، وقراءة قرآن، وبر الوالدين وصلة الرحم، وعيادة مريض وتشييع جنازة، وزيارة مقبرة، وحلقة علم، وغير ذلك.. فهل سيجد بعد ذلك دافعًا ملحًا لارتكاب تلك المعصية، بل إن وصوله إلى فراشه آخر اليوم كالًا متعبًا من قيامه بتلك العبادات وتنوعها سيحول بينه وبين فعل أمر يسخط الرب عز وجل.

١٣- الصوم:

ولا شك أن أفضل العبادات التي يتقرب بها الشاب للتغلب على هذه الشهوة هي الصيام، فالإسلام أرشد الذين لا يجدون نكاحًا أن يصوموا لما للصيام من تخفيف لغليان الشهوة، ***فالنبي ﷺ قال كما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:*** " **يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ! مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ** ".

قال ابن حجر-رحمه الله-: " وفي الحديث أيضا إرشاد العاجز عن مؤن النكاح إلى الصوم، لأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل تقوى بقوته، وتضعف بضعفه ". اهـ

١٤- ترك مجالسة أهل الفساد:

يجب على المسلم أن يصاحب الأخيار الأطهار الذين يذكرونه بالله ويخوفونه من عذابه، ويعينونه على طاعته، ويتجنب مصاحبة الأشرار الذين يحضونه على الفساد والإفساد، وعلى معصية الرحمن وطاعة الشيطان.

- ***قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:*** " **لا تتكلم فيما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا من يخشى الله ﷻ ويطيعه، ولا تمشِ مع الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرّك، ولا تُشاور في أمرك إلا الذين يخشون الله تعالى** ". **(العزلة ص: ١٤٤)**

- ***وقال مالك بن دينار-رحمه الله-:*** " إنك إن تنقل الأحجار مع الأبرار خير لك من أن تأكل الخبيص[١] مع الفجَّار". ***ثم يقول:***

وصاحب خيار الناس تنج مسلمًا وصاحب شرار الناس يومًا فتندما

(تفسير القرطبي: ١٢/١٧)

١- الخبيص: المراد به نوع من الحلوى صنع من التمر مخلوطًا بالسّمن.

فهذه صرخةُ إنذار...إيّاك إيّاك ومصاحبة الأشرار:

فجلساء السوء يتخلى بعضهم عن بعض يوم القيامة.

وقد حكى القرآن الكريم قول أهل النار عندما قالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (الشعراء:١٠٠،١٠١)

– *وقد روي عن عليِّ بن أبي طالب ﷺ أنه قال:*" عليكم بالإخوان فإنهم عدّة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ(١٠٠) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ". (إحياء علوم الدين: ٢/١٦٠)

والفاجر يرى صديقه يوم القيامة لكن لا يملك له نصرًا. **قال تعالى:** ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا(١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ...﴾ (المعارج:١٠، ١١)

والحميم يرى حميمه يوم القيامة ويعرفه؛ لكنه لا يسأله شيئًا إذ هو يعلم مسبقًا ما الجواب. فلما علم ذلك انقلبت هذه الخلة وهذه المحبة التي كانت في الدنيا إلى عداوة في الآخرة؛ **كما قال تعالى:** ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزخرف: ٦٧)

ولا يقتصر الأمر إلى العداء فقط بل سيلعن بعضهم بعضًا. **قال تعالى:** ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف:٣٨)

فهيا.... هيا أخي الحبيب تبرأ من أصحاب السوء الآن قبل أن يتبرءوا منك يوم القيامة ولكن أين؟.... في النار...أعاذك الله من النار وصحبة الأشرار.

واعلم أن مصاحبة أهل الفساد دليل على فساد من يصاحبهم، فالصاحب مرآة تدل عليك.

وقد قيل: قل لي من تصاحب؟ أقل لك من أنت.

وصدق القائل حيث قال:

أنت بـالناس تُقـاس ... بالـذي اخترت خليلا
فاصحب الأخيار تعلو ... وتنـل ذكـرًا جميـلا
صحبة الخامل تكسو ... مَـن يؤاخيـه خمـولا

وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ ".

(صحيح أبي داود: ٤٨٣٣) (صحيح الجامع: ٣٥٤٥).

فبيّن النبي ﷺ أن المرء مشاكل ومماثل لخليله وجليسه في الاستقامة والصلاح وعدمها.

قال ابن مسعود ﷺ: **" ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب "**

وقال عدى بن زيد-رحمه الله-:

عن المرء لا تسأل و سَلَ عن قرينه فكـل قـــرين بـالُمقـــارن يقتـــدي

إذا كنت في قوم فصاحب خيَـارَهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

فمخالطة أهل السوء ضررٌ وفساد في الدنيا والآخرة:

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي-رحمه الله-: " وبالجملة فمصاحبة الأشرار مضرة من جميع الوجوه على من صاحبهم وشرّ على من خالطهم. فكم هلك بسببهم أقوام وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ".

ولذلك قال أبو الأسود الدؤلي كما في كتاب" الشهاب الثاقب في ذم الخليل الصاحب" للسيوطي:

" ما خلق الله خلقًا أضرّ من الصاحب السوء ". اهـ

فعلى العاقل الناصح لنفسه الذي يريد لها النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة أن يتجنب مخالطة هؤلاء ويفر منهم فراره من الأسد.

وأخيراً.... و قبل أن أتركك... أهمس في أذنك وأقول لك:

أنت مع من أحببت، فانظر مع من تحب أن تكون؟

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: **أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ يا رَسولَ اللَّهِ؟ قالَ: ما أعْدَدْتَ لَهَا قالَ: ما أعْدَدْتُ لَهَا مِن كَثِيرِ صَلَاةٍ ولَا صَوْمٍ ولَا صَدَقَةٍ، ولَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ، قالَ: أنْتَ مع مَن أحْبَبْتَ ".**

وعند الطبراني في الصغير من حديث علىّ ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" ولا يُحب رجلٌ قومًا إلا حُشِرَ مَعَهُمْ "**

(قال المنذري: إسناده جيد)

فهل تحب أن تكون مع قارون وفرعون وهامان؟ أم مع الحبيب العدنان؟

هل تحب أن تكون مع الفسقة الفجّار؟ أم مع الصحابة الأطهار؟

هل تحب أن تكون مع أهل الفساد وأصحاب السوء في نار الجحيم؟ أم تحب أن تكون مع المتقين في جنة رب العالمين؟

أترك لك الإجابة؛ وأنا على علم ويقين بأنك تحب رب العالمين ورسوله الأمين وصحابته الطيبين وتحب أن تكون معهم في جنات النعيم.

١٥- اختيار الرفقة الصالحة:

فمما لاشك فيه أن الجلساء والأصدقاء يؤثر بعضهم على بعض وهذا ما يؤكده النبي ﷺ.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبى موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" إِنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ، وجَلِيسِ السُّوءِ، كَحامِلِ المِسْكِ[١]، ونافِخِ الكِيرِ[٢]، فَحامِلُ المِسْكِ، إمَّا أنْ يَحْذِيَكَ[٣]، وإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ، إمَّا أنْ يَحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً"**

فنافخُ الكير هذا إما أن يُحرق بدنك أو ثيابك مِن شرره المتطاير، أو تَجد مِن مُجالسته رِيحًا خَبيثة، فيَجلِبَ لك كَربًا وضيقًا، وتَشَم منه ما يُؤذيك، وهكذا الجليسُ السَّوءُ إمَّا أنْ تَطالَك شُرورُ أفعالِه، فتُشارِكَه أوزاره، وتَحترقا بنارِها، وإما أنْ ترى القبيح وسوء الفعل أمامك، فتُذم لمُصاحبة ومُجالَسة مَن هذا حاله.

أما الجليس الصالح فهو كحامل المسك إذا لم تشتر منه، ولم يمنحك منه عطية؛ استمتعت من مجالسته بريح ينبعث منه أريجٌ زكي ويفوح منها طيبٌ عطر، وشذى فوَّاح، ونسمات تنبسط لها النفس، وينشرح لها الصدر، فالعطر ينبع من ذاته، ثم يفيض على من حوله، فالخير الذى يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر(الجيد في الغاية) فإنه إما أن يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك، أو يهدى لك نصيحة أو يحذّرك من الإقامة على ما يضرك، فيحثك على طاعة الله، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها، بقوله وفعله وحاله، وأقل ما تستفيده من الجليس الصالح – وهى فائدة لا يستهان بها– أن تنكف بسببيه عن السيئات والمعاصي، رعاية للصحبة، ومنافسة في الخير، وترفعًا عن الشر، وأن يحفظك في حضرتك ومغيبك، وأن تنفعك محبته ودعاؤه في حال حياتك وبعد مماتك.

قال النووي–رحمه الله– تعليقًا على هذا الحديث:" في هذا الحديث:" فضيلة مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع ومن يغتاب الناس أو يكثر فُجره ". اهـ

وقال الحافظ ابن حجر–رحمه الله– كما في فتح الباري:٤/٣٢٤": وفي الحديث: النهي عن مجالسة من يتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته في الدين والدنيا ". اهـ

وقال السعدي –رحمه الله–:" مثَّل النبي ﷺ بهذين المثالين مبينًا أن الجليس الصالح مغنم لك وخير في جميع أحوالك كحامل المسك الذي تنتفع بما معه من المسك، فأنت تجلس معه قرير النفس برائحة المسك، فالخير الذي يصيبه العبد من جليسه الصالح أبلغ وأفضل من المسك الأذفر، فإنه إما يعلمك ما ينفعك في دينك ودنياك أو يهدى لك نصيحة ويدعوك إلى مكارم الأخلاق ومحاسنها. اهـ

١- حامل المسك: أي بائعه.
٢- نافخ الكير: الحداد الذي يصهر الحديد وينفخه فيتطاير الشرر. والكِيرُ: هو زِقٌّ أو جِلدٌ غَليظٌ تُنْفَخُ به النَّارُ.
٣- يُحذيك: أي يعطيك.

فإن الإنسان مجبول على الاقتداء بصاحبه وجليسه، والطباع والأرواح جنود مجندة يقود بعضها بعضًا إلى الخير أو ضده.

فهيا... هيا... عليك بمصاحبة الأخيار، والبعد عن الأشرار.

فمصاحبة الأخيار فيه ما فيه من الخير الكثير الذي يعود عليك في الدنيا والدين.

- ***وها هو الحبيب النبي ﷺ يقول:*** **" لا تصاحبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلا تقيٌّ ".**

(أخرجه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ)

معنى الحديث: لا تدعُ إلى مؤاكلتك إلا الأتقياء؛ لأن المؤاكلة توجب الألفة وتجمع بين القلوب، فتوخّ أن يكون خلطاؤك وذوو الاختصاص بك أهل التقوى.

- ***قال عمر بن الخطاب ﷺ:*** **" ما أُعطِي عبد بعد الإسلام خيرًا من أخ صالح ".**

(إتحاف السادة المتقين:٦/ ١٣١)

- ***وقال لقمان لابنه:*** " يا بني! لا تعد بعد تقوى الله من أن تتخذ صاحبًا صالحًا ". **(الإخوان لابن أبي الدنيا)**

- ***وسُئل بعض الحكماء:*** " أي الكنوز خير؟ قال: أما بعد تقوى الله فالأخ الصالح ".

(الإخوان لابن أبي الدنيا)

- ***وقال الغزالي -رحمه الله-:*** **قال عيسى ابن مريم -عليه السلام-:** "جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد في عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله ". **(الإحياء:٢/ ١٥٩)**

فعلى الشاب ألا يصاحب إلا من يثق بدينه وأخلاقه، ويتخير الرفقة المؤمنة الصالحة حتى يكون إن شاء الله من زمرة الصالحين وصدق رسول الله ﷺ القائل كما في سنن أبي داود والترمذي:" الرجلُ على دينِ خليلِه فلينظرْ أحدُكم من يُخالِلُ ". **(صحيح أبي داود: ٤٨٣٣)**

وقال أحدهم:

يقــاس المــرء بالمــرء ... إذا ما المــرء ماشــاه

وللنــاس على النــاس ... مقــاييس وأشبــاه

فلا تصحب أخا الجهل ... وإيــاك وإيــاه

فكـم مـن فاسـق أردى ... مطيعًا حـين ماشـاه

يقـاس المـرء بالمـرء ... إذا ما المــرء ماشــاه

١٦- عدم الاختلاط:

إن الاختلاط معول هدم يهدم كل فضيلة ويدعو إلى كل رذيلة، وهو مع خطورته أصبح أمرًا مألوفًا؛ لأن المنكرات متى كثرت على القلوب ورودها، وتكرر في العين شهودها، ذهبت وحشتها من القلوب شيئًا فشيئًا إلى أن يراها الناس شيئًا معروفًا مألوفًا **وكما قيل:** كثرة المساس تميت الإحساس.

والاختلاط ستكون نتيجته الحتمية هو التجرؤ على محك الجنسين بالآخر. وأمثلة هذا المحك تظهر في النظر والمصافحة، فضلًا عن التصاق الأفخاذ في مدرجات الجامعة، والتصاق الأجساد في وسائل المواصلات. وهذا يثير الشهوة مما يجعل البعض يمارس العادة السرية أو ربما وقع في جريمة الزنا – عياذًا بالله– ***والنبي ﷺ يقول كما عند الطبراني في "المعجم الكبير" من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه:*** **" لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير من أن يمس امرأة لا تحل له ".**

– *وعند الطبراني أيضًا من حديث أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:* **" لأن يزحَم رجل خنزيرًا متلطخًا بطين وحَمْأة خيرٌ له من أن يزاحم مَنْكَبَهُ منكبَ امرأةٍ لا تحل له ".**

يقول ابن القيم –رحمه الله– في" كتابه الطرق الحكمية في السياسة الشرعية": " ولا ريب أن تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال أصل كل بلية وشر، وهو من أعظم أسباب نزول العقوبات العامة والخاصة، واختلاط الرجال بالنساء سبب لكثرة الفواحش وانتشار الزنا، وهو من أسباب الموت العام والطواعين المتصلة ".

وقال الشيخ ابن باز –رحمه الله– ردًا على دعاة الإباحية وضرورة الاختلاط: وردًا على مدير جامعة صنعاء عبد العزيز المقالح والذي كتب مقالة في جريدة "السياسية" بتاريخ ١٤٠٤/٧/٢٤ والذي يدعو إلى الاختلاط في التعليم، ويستدل بأن المسلمين في عهد الرسول ﷺ كانوا يؤدون الصلاة في مسجد واحد الرجال والنساء. فقال الشيخ ابن باز–رحمه الله– ردًا عليه:

مما لاشك فيه أن هذا الكلام فيه جناية عظيمة على الشريعة الإسلامية؛ لأن الشريعة لم تدعُ إلى الاختلاط، بل منعته وشددت فيه، **فقد قال الله تعالى:** ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى ﴾

(الأحزاب: ٣٠)

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٨)

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ (الأحزاب:٥٣)

وغير ذلك من الآيات الكريمات والتي تدل على لزوم النساء لبيوتهن حذرًا من الفتنة بهن إلا من حاجة تدعو إلى الخروج.

وقد جاء في "صحيح البخاري ومسلم" عن أسامة بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء ".**

وعن مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون! فاتقوا الله واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء ".**

ثم قال الشيخ-رحمه الله-: ومعلوم أن جلوس الطالبة مع الطالب على كرسي الدراسة من أعظم أسباب الفتنة خصوصًا مع ترك الحجاب. وكان النساء في عهد النبي ﷺ لا يختلطن بالرجال، لا في المساجد ولا في الأسواق، بل كان النساء يصلين خلف الرجال، ***وكان النبي ﷺ يقول:*** **" خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها، وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها".** وكان الرجال يُؤْمَرُون بالتريث في الانصراف حتى يمضي النساء ويخرجن من المسجد، وكانت النساء لا تمشي في وسط الطريق. وكان النبي ﷺ في يوم العيد يذهب إليهن بعد ما يعظ الرجال فيعظهن ويذكرهن؛ لبعدهن عن سماع خطبته، فهذا كله لا إشكال ولا حرج فيه، وإنما الإشكال في قول مدير جامعة صنعاء هداه الله وأصلح قلبه وفقهه في الدين.

١٧ - الزواج:

وهو الغاية التي يحاول الشاب الوصول إليها للقضاء على هذا المرض ولو علم الله صدق الشاب فإنه يرزقه من حيث لا يحتسب، ***فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي واللفظ له والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونهم: المجاهدُ في سبيلِ اللهِ، والْمُكَاتَبُ الذي يريدُ الأداءَ، والناكحُ الذي يُرِيدُ العفافَ ".**

- وقد مر بنا الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، ومَن لَمْ يَسْتَطِعْ فَعليه بالصَّوْمِ؛ فإنَّه له وِجَاءٌ ".**

ومما يؤكد على أن الزواج من أعظم العلاج لحفظ الفرج، *قول النبي ﷺ:* **" إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا أبصر أحدكم امرأة فليأت أهله؛ فإن ذلك يرد ما في نفسه".**

(رواه مسلم)

فإن لم يستطع الزواج فعليه بالصيام كما مر بنا ضمن الوسائل المعينة على ترك الاستمناء.

١٨ - التفكر في الدنيا وسرعة زوالها وقرب انقضائها، والتطلع إلى نعيم الآخرة:

فهل يرضى الشاب لنفسه أن يخرج من الدنيا إلى دار الخلود بلا زاد؟ أو بأبخس ما فيها وأقله نفعًا، فإنه لا يفعل هذا إلا ساقط الهمة، دانئ المروءة، ميت القلب، وليعلم كل شاب أن الموت يأتي بغتة، وربما يأتيه الموت وهو يفعل هذه المعصية، والمرء يحشر على ما مات عليه، فليصم الشباب عن الشهوة الحرام إلى أن يلقوا الله عز وجل، ويتذكروا نعيم الآخرة وما ينتظرهم هناك من الحور العين.

هل تعلم أخي الحبيب أن أدنى أهل الجَنَّة منزلة له في الجَنَّة مثل الدنيا عشر مرات.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجَنَّة دخولًا، رجل يخرج من النار حبوًا، فيقول الله: اذهب فادخل الجَنَّة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتُها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجَنَّة، فيأتيها فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى، فيقول: اذهب فادخل الجَنَّة، فإن لك مثل عشرة أمثال الدنيا، فيقول: تسخر مني- أو: أتضحك مني- وأنت الملك؟ قال عبد الله بن مسعود ﷺ: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقال: ذلك أدنى أهل الجَنَّة منزلة ".**

١٩ - الاستشعار بأن الله تعالى مطلع ورقيب عليك:

قَالَ ابنُ القيم-رَحِمَهُ اللهُ-: " الْمُرَاقَبَةُ: دَوَامُ عِلْمِ الْعَبْدِ وَتَيَقُّنِهِ بِاطِّلَاعِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى ظَاهِرِهِ وَبَاطِنِهِ، فَاسْتَدَامَتُهُ لِهَذَا الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ هِيَ الْمُرَاقَبَةُ، وَهِيَ ثَمَرَةُ عِلْمِهِ بِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِ، نَاظِرٌ إِلَيْهِ، سَامِعٌ لِقَوْلِهِ، وَهُوَ مُطَّلِعٌ عَلَى عَمَلِهِ كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ لَحْظَةٍ، وَكُلَّ نَفَسٍ وَكُلَّ طَرْفَةِ عَيْنٍ ".

(مدارج السالكين:٢/٦٥)

وحقيقة المراقبة: أن يكون العبد على علم ويقين أن الله تعالى ناظر إليه، سامع لقوله، مطلع على ظاهره وباطنه، عالم بسره وعلانيته، لا يخفى عليه شيء من أقواله وأفعاله، لا يغيب عنه شيء من أحواله وخواطره.. فهو سبحانه وتعالى العليم الخبير، السميع البصير، الرقيب الشهيد ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد: ٤).

قَالَ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:١)

قَالَ ابن كثير-رَحِمَهُ اللهُ-: " وقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أَيْ: هُوَ مُرَاقِبٌ لِجَمِيعِ أَعْمَالِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ". **(تفسير ابن كثير:٢/٢٠٦)**

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الحديد:٤)

قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيره: " أي: رقيب عليكم، شهيد على أعمالكم حيث أنتم، وأين كنتم، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامكم ويرى مكانكم، ويعلم سركم ونجواكم، **كما قال تعالى:** ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾(سورة هود:٥) فلا إله غيره ولا رب سواه. وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل، لما سأله عن الإحسان:" **أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك** ".

وقال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾وهذه المعية، معية العلم والاطلاع.

وأخرج ابن حبان من حديث أسامة بن شريك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " **ما كرهت أن يراه الناس فلا تفعله بنفسك إذا خلوت** ". (حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة)

فوالله لو نظر إليك أبوك وأنت تفعل هذه المعصية لمُت خجلًا، ولسقط لحم وجهك حياءً منه، فكيف والناظر إليك هو الله الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء؟

وقد أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: قل لقومك ما بالكم تسترون الذنوب من خلقي وتظهرونها لي، إن كنتم ترون أني لا أراكم فقد كفرتم، وإن كنتم ترون أني أراكم فلم تجعلوني أهون الناظرين إليكم.

فمراقبة الله تقي الإنسان من الوقوع في المعصية أو الفاحشة:

فمراقبة الله في السر والعلن دليل على قوة إيمان العبد بالله عز وجل، وباسمه الرقيب الذي هو اسم من أسمائه الحسنى الدالة على عظمته وجلاله وكماله، فهو الرقيب الذي لا يغيب عنه شيء من أمور خلقه، الحفيظ الذي لا يَغفُل، الحاضر الذي لا يَغيب، العليم الذي لا يَعزب عنه مثقال ذرة من أحوال خلقه، يرى أحوال العباد، ويُحصي أعمالهم، ويُحيط بمكنونات سرائرهم، فهو مطلع على الضمائر، شاهد على السرائر، يعلم ويرى، ولا يخفى عليه السر والنجوى، **قال سبحانه:** ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

وقال عز وجل عن نبيه عيسى-عليه السلام-: ﴿ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة:١١٧)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المجادلة:٦)

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ﴾ (العلق:١٤) تنبيه على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحى من ارتكاب الذنب.

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي: عظني، فقال: لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا ظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت ".

وقد قيل لحاتم الأصم-رحمه الله-: **بم حققت التوكل على الله؟ قال: بأربع خصال:**" علمت بأن رزقي لا يأخذه غيري فاطمئن قلبي، وعلمت بأن عملي لا يتقنه غيري فاشتغلت به، وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية، وعلمت أن الموت ينتظرني فأعددت الزاد للقاء الله تعالى ".

(رواه البيهقي في" الشعب" وأبو نعيم في" الحلية")

ولما غاب هذا الأصل الأصيل تجرأ بعض المسلمين على رب العالمين، فإذا غابوا عن أعين الناس وخلوا بأنفسهم تجرءوا على محارم الله فانتهكوها، فضاع منهم أعز ما يملكون، ضاعت الحسنات في وقت هم أحوج فيه إلى حسنة.

فقد أخرج ابن ماجه من حديث ثَوْبَان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا "، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا، أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لاَ نَعْلَمُ، قَالَ:" أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا[1] خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا ".**

(صحيح ابن ماجه: ٣٤٤٢)

وفي نونية القحطاني:

وإذَا خَلَـوْتَ بِرِيبَـةٍ فِي ظُلْمَـةٍ ... وَالنَفْسُ دَاعِيَةٌ إِلى الطُغْيَانِ

فاسْتَحْيِ مِنْ نَظَرِ الإِلَه وَقُلْ لَهَا ... إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الظَّلاَمَ يَرَانِي

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: **" خَوْفُكَ من الرِّيحِ إذا حَرَّكَتْ سِتْرَ بابِكَ وأنتَ على الذَّنبِ، ولا يضطربُ فؤادُكَ منْ نَظَرِ اللهِ إليكَ أعظمُ منَ الذَّنبِ إذا عملتَهُ...".**

ولقي رجل أعرابية فأرادها على نفسها فأبت، وقالت: أي ثكلتك أمك أمالك زاجر من كرم؟ أمالك ناه من دين؟ قال: والله لا يرانا إلا الكواكب! قالت: ها بأبي أنت! وأين مكوكبها؟. **(رواه البيهقي في الشعب)**

وكان الإمام أحمد ينشد ويقول:

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلا تَقُلْ ... خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيْبُ

وَلَا تَـحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَـلُ سَاعَـةً ... وَلا أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيْبُ

وكان ابن السماك ينشد فيقول:

يا مدمن الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا

أغـرك مـن ربك إمهالـه ... وستره طول مساويكا

١ـ فالتعبير بـ " إذا " يدل على الكثرة والاستمرار، وأن هذا هو شأنهم وديدنهم مع محارم الله فجعلوا الله أهون الناظرين إليهم. ولفظ" إذا " يدل على الكثرة كما في صفة المنافق: إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان. وهذا كحال المنافقين الذين قال الله عز وجل عنهم: (يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا) (النساء: ١٠٨)

٢٠- الحياء من الله تعالى حق الحياء:

يقول ابن القيم- رحمه الله -: " والحياء من الله أن تنفتح في قلبك عين تريك أنك قائم بين يدي الله ".

ويقول أيضًا: " والحياء يتولد من علم العبد بنظر الله إليه، فيدفع ذلك إلى مجاهدة النفس، وتحمُّل أعباء الطاعة، واستقباح الجناية، وأن العبد إذا علم أن الله ناظر إليه أورثه هذا حياءً منه تعالى ".

(مدارج السالكين)

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" استحيوا من الله حق الحياء، قالوا: إنا لنستحي يا رسول الله، قال: ليس ذاكم[١] ولكن من استحيا من الله حق الحياء، فليحفظ الرأس وما وعى[٢] وليحفظ البطن وما حوى[٣] وليذكر الموت والبلى[٤]، ومَن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا[٥]، فمَن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء ".**

قال سفيان بن عيينة-رحمه الله- كما في " فتح القدير: ١/٤٨٨": " وقوله ﷺ:" **فليحفظ الرأس وما وعى:** أي ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل، وقوله ﷺ:" **وليحفظ البطن وما حوى:** أي وما جمعه الجوف باتصاله به، من القلب والفرج واليدين والرجلين، فإن هذه الأعضاء متصلة بالجوف، فلا يستعمل منها شيء في معصية الله، فإن الله ناظر إلى العبد لا يواريه شيء ". اهـ

٢١- العلم بأن هذه الجوارح أمانة لديك، ستسأل عنها يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ (الإسراء: ٣٦)

ويقول أبو حامد الغزالي-رحمه الله-: " اعلم يا مَن تَعصِي الله بِجَوارِحك، إنما هي نعمةٌ من الله عليك، وأمانةٌ لديك، فاستِعانتُك بنعمة الله تعالى على معصيته غايةُ الكُفران، وخِيانتك في أمانةٍ أودَعَكَها الله تعالى غايةَ الطُّغيان، فأعْضاؤك رعاؤك، فانظُر كيف ترعاها؛" **ألا فكُلُّكُم راعٍ، وكُلُّكُم مسئولٌ عن رَعِيَّتِه** ". (البخاري ومسلم).

وهذه الجوارح نعمة من الله تعالى، وشكر النعم لا يكون إلا بالاستعانة بها في طاعته:

فمما لا شك فيه أن الحواس والجوارح من نعم الله على العبد، وهذه النعم لا بد من شكرها، فبالشكر تدوم النعم بل وتزيد، **قال تعالى:** ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ (إبراهيم:٧)

والشكر هو سبيل الانتصار على الشيطان في معركته مع الإنسان ليفسد عليه دينه.

١- ليس ذاكم: قال البيضاوي-رحمه الله-: ليس حق الحياء من الله ما تحسبونه، بل أن يحفظ نفسه بجميع جوارحه عما لا يرضاه من فعل وقول.
٢- فليحفظ الرأس وما وعى: أي ما جمعه من الحواس الظاهرة والباطنة حتى لا يستعملها إلا فيما يحل.
٣- ويحفظ البطن وما حوى: أي وما جمعه جوفه باتصاله به: من القلب والفرج واليدين والرجلين فلا يستعمل منها شيئًا في معصية الله.
٤- وليذكر الموت والبلى: فمَن ذكر الموت؛ هان عليه ما فاته من اللذات العاجلة، وأهمه ما يلزمه من طلب الآجلة، وعمل على إجلال الله وتعظيمه.
٥- ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا: لأنهما ضرتان، إذا رضيت إحداهما أغضبت الأخرى؛ فمَن أراد الله تعالى فليرفض جميع ما سواه؛ استحياءً منه بحيث لا يرى إلا إياه.

فقد قال الشيطان الرجيم لرب العالمين: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف:١٦،١٧)

وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان لا يكون شاكرًا إلا بمجموعها وهي: الاعتراف بالنعمة باطنًا، والتحدث بها ظاهرًا، والاستعانة بها على طاعة الله.

وقد ثبت في "الصحيحين": **" أن النبي ﷺ قام حتى تفطَّرت قدماه، فقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال: أفلا أكون عبدًا شكورًا ".**

فخلاصة الأمر كما قال أهل العلم: إن الشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور، وكفها عن معاصيه.

فاللهم أعنَّا على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك.

وها هو الإمام الجليل أبو الطيب الطبري طاهر بن عبد الله طاهر ما عصى الله بجارحة قط.

يقول القاضي أبو بكر الشامي: " قلت للقاضي أبي الطيب – وقد عُمِّر– شيخنا! لقد مُتعتَ بجوارحك، قال:" لم لا. والله ما عصيتُ اللهَ بواحدة منها قط ". **(طبقات السبكي:٥/١٥)**

٢٢- أن يستشعر كل إنسان منا أن هذه الجوارح ستشهد عليه يوم القيامة:

إن غاب عنك أن الله مطلع عليك يعلم أحوالك، ويرى أفعالك، ويسمع كلامك. فلا يغيب عنك أن هذه الجوارح التي عصيتَ بها اللهَ وفعلت بها هذه المعصية ستشهد عليك يوم القيامة.

فقد أخرج الإمام مسلم عن أنس ﷺ قال: **" كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: أتدرون ممّا أضحك؟ فقلنا: الله ورسوله أعلم، فقال: من مخاصمة العبد ربه، فيقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ فيقول رب العزة: بلى، فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا منى، فيقول رب العزة: كفى اليوم عليك حسيبًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فِيهِ، فيقال لأركانه: انطقي؛ فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخلّي بينه وبين الكلام، فيقول: – يعنى لأعضائه – بعدًا وسحقا لَكُنَّ، فعَنْكُنَّ كنت أجادل ".**

وصدق ربنا حيث قال: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (يس: ٦٥)

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النور: ٢٤)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (فصلت:٢١)

٢٣- استشعار الوقوف بين يدي الله تعالى يوم القيامة:

وليعلم الجميع أنه موقوف بين يدي الله وأنه مسئول.

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال: " ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ، فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ ".

قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ (سورة الحاقة: ١٨)

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المجادلة:٦)

ومن المعلوم أن مرحلة الشباب هي قطعة من العمر، وهي أهم مرحلة سيسأل عنها الإنسان أمام الله عز وجل يوم القيامة. **ففي الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال:** " لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه – **وفي رواية:** " وماذا عَمِلَ فيم عَلِمَ ".

ولعل قائل يقول: " لماذا ذكر النبي ﷺ الشباب بعد العمر؟ والشباب قطعة من العمر؟

والجواب: أن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام لبيان أهمية الخاص، أي أننا سنسأل عن العمر، وأهم مرحلة من العمر ستسأل عنها هي مرحلة الشباب.

فاعلم أيها الشاب أنك ستسأل عن شبابك ماذا فعلت فيه؟ فأعد للسؤال جوابًا، وللجواب صوابًا. فإذا علمت هذا فعليك أيها الشباب أن تعمره من الآن بطاعة الرحمن.

٢٤- وأخيرًا: الدعاء:

يقول عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما-: " قَلَّما كان رسولُ اللهِ ﷺ يقومُ من مجلِسٍ حتى يدعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ لِأَصحابِهِ: " اللهمَّ اقسِمْ لنا مِنْ خشيَتِكَ ما تحولُ بِهِ بينَنَا وبينَ معاصيكَ... ".

(أخرجه الترمذي واللفظ له والنسائي في السنن الكبرى) (صحيح الترمذي: ٣٥٠٢)

وقوله ﷺ: " اللَّهمَّ اقْسِم لنا"، أي: اللَّهمَّ ارزُقْنا نَصيبًا وحَظًّا "مِن خَشيَتِك"، أي: مِن الخوفِ مِنك وتَعظيمِك وإجلالِك "ما يَحولُ بينَنا وبينَ مَعاصيك"، أي: تَكونُ هذه الخشيةُ حائِلًا ومانِعًا مِن الوُقوعِ في المعصيةِ والذُّنوبِ؛ وذلك أنَّ العَبدَ إذا امتَلَأ قلبُه إجلالًا وتَعظيمًا للهِ عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ ذلك يَمنَعُه مِن أن يَرتَكِبَ المحظوراتِ

وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن شكل بن حميد العبسي ﷺ قال: **" أتيتُ النَّبيَّ ﷺ فقُلتُ: يا رسولَ اللَّهِ! علِّمني تَعوُّذًا أتعوَّذُ بِهِ. قالَ: فأخذَ بكفي فقالَ:" قُل: اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ مِن شرِّ سمعي، ومِن شرِّ بصَري، ومِن شرِّ لِساني، ومِن شرِّ قلبي، ومن شرِّ مَنيِّي- يَعني فرجَهُ ".**

(صحيح الترمذي: ٣٤٩٢)

وفي هذا الحَديثِ يقولُ شَكَلُ بنُ حُمَيْدٍ ﷺ:" **أتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فقلتُ: يا رسولَ اللهِ! علِّمْني تعوُّذًا**"، أي: دُعاءً،" **أتعوَّذُ به**"، أي: ألجأُ وأستجيرُ باللهِ فيه أن يحفَظَني مِن شرورِ الدُّنيا والآخرة، قال شَكَلٌ: "**فأخَذَ**"، أي: النَّبيُّ ﷺ،" **بكفِّي**"، أي: أمسَك به؛ وذلك لإعطائِه شُعورًا بمَزيدِ اعتناءٍ واهتمامٍ منه ﷺ به وبسؤالِه، فقال ﷺ:" **قُلْ**"، أي: ادْعُ بهذا الدُّعاءِ:" **اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك مِن شرِّ سَمْعي**"، أي: أنْ يكونَ في مَعصيتِكَ؛ كتنَصُّتٍ وتجسُّسٍ فيما حرَّم اللهُ عزَّ وجلَّ،" **ومِن شرِّ بصَري**"، أي: أن أُطلِقَه فيما أمَر اللهُ عزَّ وجلَّ بغَضِّ البصرِ عنه،" **ومِن شرِّ لساني**"، أي: مِن الكلامِ الَّذي لا يكونُ فيه ذِكرُ الله تعالى، أو ممَّا أباحه اللهُ عزَّ وجلَّ،" **ومِن شرِّ قَلْبي**"، أي: مِن أن يعتقِدَ اعتقادًا فاسدًا، أو يكونَ به حِقْدٌ أو حسَدٌ أو حبٌّ للمعاصي وأهلِها،" **ومِن شَرِّ مَنِيِّي**- يَعْني: فَرْجَه"، أي: أعوذُ بك أن أُوقِعَه في غَيرِ مَحلِّه أو يُوقِعَني في الزِّنا، أو أنْ يَغلِبَ عليَّ حتَى أقَعَ في الزِّنا أو مُقدِّماته، وقيل: المرادُ الاستعاذة مِن شَرِّ شِدَّةِ الشَّهوةِ إلى الجِماعِ؛ فإنَّه بالإفراطِ ربَّما أوْقَعَ في الزِّنا أو مُقدِّماتِه. وتَخصيصُ هذِه المذكوراتِ بالاستعاذةِ منها؛ لأنَّها أصلُ كلِّ شَرٍ وقاعدتُه ومَنبعُه. (الدرر السنية)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله تعالى أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك